المدرسة البغدادية منهجها واهم اعلامها

تمهيد:

اختلف العلماء المحدثون حول وجود مدرسة بغدادية حقيقة، وانقسموا ف ذلك الى فريقين فمنهم من أثبت وجودها ومنهم من نفى ذلك، وأما من أثبتوا وجودها اختلفوا في ثلاثة أمور حول مفهوم المدرسة، زمن المدرسة أفرادهذه المدرسة واتجاهاتهم.

وقد كان الأستاذ محمد الطنطاوي في كتابه نشأة النحو مثبتا لوجود هذه المدرسة؛ حيث قال انه قد تلاقت مدرستا البصرة والكوفة في بغداد، وأدّى هذا إلى اختلاف في اتجاهات العلماء إلى ثلاثة انحاء اعقبهم المذهب البغدادي الجديد الذي تأسس على المذهبين باعتماد المستحسن والمختار والمنتقى من المذهبين وممن جمع بين المذهبين نجد نجد: ابن قتيبة، ابن كيسان، الأخفش الأصغر، ابن الخياط، الزجاجي[1]

وتبع الطنطاوي في موقفه الدكتور عبد الحميد حسن في كتابه القواعد النحوية، حيث قال:" وقد أتيح للبغداديين بهذا أن ينظروا في المذهبين البصري والكوفي من المذهبين وأضافوا إلى ذلك ما عنّ لهم من آراء خاصة، وكانوا في أول الأمر اكثر ميلا إلى موافقة الكوفيين لمكانة نحاة الكوفة عند الخلفاء... ولكن اتبعوا مذهب البصريين في كثير من المسائل"[2].

وذهب الأستاذ شوقي ضيف الى ان المدرسين البصرة والكوفة التقتا واندمجتا في بغداد في نهاية القرن 3ه وقد اهتم نحاتها بالانتخاب بين المدرستين، فظهر اتجاه جديد يقوده جيل من النحاة الجدد تتلمذوا على يد كلّ من المبرد وثعلب[3].

---

[1] ينظر ، محمود حسني محمود: المدرسة البغدادية،دار عمار مؤسسة الرسالة، دت، دب ،ص 47

[2] ينظر المرجع نفسه، 48

[3] ينظرشوقي ضيف، المدارس النحوية ، ص245

ويرى مهدي المخزومي ان المدرسة البغدادية ظهرت في الوقت الذي اشتد فيه الصراع بين المبرد وثعلب، وقال ان هناك طبقة من من الدارسين أخذت عن شيوخ المدرستين فعرفوا المنهجين، واستفادوا من الفئتين، ثم رأى ان المذهب البغدادي ليس غلا منهجا انتخابيا يحمل خصائص المدرستين[1].

ومن المثبتين كذلك سعيد الأفغاني فقد اثبت وجود المدرسة البغدادية بقوله:" كانت بغداد حاضرة الخلافة العباسية وهي السوق التي كان يروج فيها العلم والادب فكان يرتحل إليها العلماء من الأقطار كافة، حيث نشر الكوفيون فيها نحوهم وقصدها نحاة البصرة أيضا ونشأت طبقة جديدة في بغداد اختارت من المذهبين وكوّنت ما عرف بالمذهب البغدادي"[32].

أما من نفى وجود المدرسة نذكر فمنهم الدكتور عبد الفتاح شلبي، الدكتور فاضل السامرائي الذي نفى قيام مدرسة إلا لاعتبارات مستقلة وأراء دقيقة واحدة محددة، وإلا كان المذهب إما بصري أو كوفي، والمكان وحده غير كاف، لأن يسمى مدرسة ولا القائمون عليها يصح أن نسميهم باسمها،، فالمبرد هو من البصريين وثعلب من الكوفيين وقد سكنا بغداد.[4]

1- بداية الصراع بين المدرستين على بغداد:

انتقل الكسائي من الكوفة الى بغداد وعاش في قصر هارون لتأديب الأمين المأمون، فكانت له مكانة وحظوة لدى هارون الرشيد، والنجاح الذي لاقاه الكسائي شجع اصحابه للقدوم إلى بغداد، وصاروا من جلساء الملوك، ولما مرض الكسائي، قرر هارون الرشيد استدعاء سيبويه للقدوم إلى بغداد، فخاف الكسائي من هذا الأمر لأنه يعلم من هو سيبويه[5]،

---

[11] ينظر ، مهدي المخزومي/ مدرسة الكوفة ،ص 70

[2]

[3] ينظرمحمود حسني محمود، المدرسة البغدادية، ص 50

[4] ينظر المرجع نفسه، ص 52

[5] محمود حسني محمود المدرسة البغدادية، ص 63.

وحين تأكد الكسائي من الخبر دبّر لسبويه مكيدة تمثلت في مناظرة صارت تسمة ب المسألة الزنبورية التي خطأ فيها سيبيوه مرات عديدة ، وقد دفعت هذه الحادثة علماء البصرة للقدوم إلى بغداد للانتقام لسبيوه، فكان اول من قدم لهذه الغاية اليزيدي، ثم جاء بعده الأخفش سعيد بن مسعدة (ت 215ه)الذي عزم هو الآخر ان يثأر لسيبويه، ، وكان الاخفش أول من وضع اللبنة ال,لى للمدرسة البغدادية حيث عل على:

-إقراء كتاب سيبويه للكوفيين،تاليف الكتب لهم

-الوقوف الموقف الوسط بين أصول البصرة وأصول الكوفة في السماع والقياس، والتعليل[1]

2- المبرد يستدعى إلى بغداد:

دعا الخليفة المتوكل المبرد إلى سامراء ولما قدم الخليفة اوكلت له مهمة التدريس في جامع بغداد وكان ثعلب يتربص بالبصريين فأرسل تلاميذه إلى المبرد، وكان من بينهم الزجاج، وابن لحائك لمناقشته وذهب معهما جمع من الكوفيين سأله الزجاج اتأذن فقال المبرد سل عما أحببت، فساله عن مسألة فأجاب فيها بجواب فأقنعه، فنظر الزجاج في وجوه أصحابه وكان في كل مرة يسأله فيجيبهفيقنعه فقال ابراهيم ابن السري عودوا إلى الشيخ فلست مفارقا هذا الرجل ولابد لي من ملازمته[2]

2- خصائص المدرسة البغدادية:

السماع: لم يميز البغداديون بين اللغات ولم يفضلوا لغة عن اخرى، كما فعل البصريون بل كانوا مثل الكوفيين يحتجون باللغة التي توفرت فيها الفصاحة دون اشتراط المكان وهذا ما ذهب إليه ابن جنى في كتابه الخصائص في باب اختلاف اللغات وكلها حجة كذلك الزجاجي أيضا كا يبيح الاخذ من لغات العرب مهما تنوعت وكان يحترمها وغن خالفت قياس البصريين وهاهو الزمخشري كذلك كان ياخذ عن العرب الذين سكنوا الحاضرة فكان يرى جواز الاحتجاج بكلام أئمة اللغة وكبار

[1] ينظر المرجع نفسه، ص100
[2] ينظر المرجع نفسه ، ص 100

روادها فقد سوّى بين ما يقولونه بما يروونه، وقد اخذ ابن جني اللغة من بني عقيل الذين سكنوا العراق وهو مخالف للبصريين في هذا.[1]

- **القياس:** وقف البغداديون موقفا وسطا في القياس خاصة على الشاذ المنفرد، فكما هو معروف لا تقيس البصرة إلا عل المطرد العام أما الكوفيون فقد أجازوا القياس على المنفرد الشاذ ويجعلونه أصلا من الاصول ويقيسونه عليها، وقد اخذ عنهم هذا النحاة البغداديون الجدد الجدد حيث نظروا في هذا الشاذ المنفرد فإذا كان يقبل القياس عليه بإيجاد تخريج له وإن لم يقبل ينظرون فيه وهذا ما ذهب إليه ابن جني حيث وضح مبدأ المدرسة البغدادية في هذه المسالة فقد أفرد حديثا في هذا المسموع حيث سماه(المسموع الفرد هل يقبل ويحتج به؟ وله احوال)[2] وهذا المسموع الفرد الشاذ عند البغدادين 3 أصناف:

*مثال لا نظير له في الالفاظ المسموعة ولكن العرب تنطق به وهذا المثال تقبله وتحتج به وتقيس عليه[3]

*مثال لا يتكلم به إلا فرد واحد من العرب مخالف الجمهور غير مخالف القياس وهذا المثال يحسن الظن به وناخذه اما إذا خالف القياس رددته ولم تقبل به

* مثال لا يتكلم به فرد واحد من العرب لم يسمع من غيره ما يخالفه او يوافقه، وهذا المثال إذا كان الناطق غير فصيح وغير موثوق به نرفضه ولا نقيس عليه.

- القراءات الشاذة:

قبل النحاة البغداديون جميع القراءات لما في ذلك الشاذة منها، فلا اجود من لغة القرن يقول الزجاج" القرآن الكريم محكم لا لحن فيه ولم يتكلم العرب بأجود منه في الإعراب، وابن جني كان يرى ان الشاذ قد

---

[1] محمود حسني محمود، المدرسة البغدادية، ص129.
[2] المرجع نفسه ، 132
[3] المرجع نفسه، ص133.

يتساوى في الفصاحة مع المجمع عليه خاصة إذا كان مدعوما برواية تثبت صحته.

- **الحديث النبوي الشريف**: يعد الحديث النبوي الشرف مصدرا أساسيا من مصادر السماع التي احتج بها البغداديون واحتجوا به في مواطن عديدة، فالزجاجي احتج بها أبوعلي الفارسي ،و ابن جني و الزمخشري.[1]
- **الانتخاب من المذهبين:** وجد البغداديون علما غزيرا وافرا خلفه نحاة البصرة والكوفة وما كان امامهم سوى غربلة هذا العلم والانتقاء والاختيار ما صلح منه وكان منطقيا مقنعا فاخذوا بتعليله ودعمه بالادلة والبراهين[2]

[1] المدرسة البغدادية، ص142،141،140.
[2] المرجع نفسه، ص 147.